قراءة نقدية لواقع اللغة العربية بالمغرب

أ.د. بشرى عبد المجيد تاكفراست

المغرب آخر دولة عربية عرفت الإسلام دينا واللغة العربية لغة، ومع ذلك فقد استطاعت اللغة العربية فرض نفسها حرفا وكلمة ورسما وصوتا، وأكدت رسميتها من دستور ١٩٦٢ إلى الدستور الحالي لفاتح يوليوز ٢٠١١ ، الذي أكد هذا الطابع الرسمي للغة العربية ووضع آليات مؤسساتية لتطويرها لأنها وحدت بين مختلف الأطياف والجهات بالدولة واعتبرت أحد أوجه مقاومة الاستعمار الأوروبي للمغرب...

تتيح قراءة الوضعية اللغوية بالمغرب معرفة دقيقة بالنسيج اللغوي ، فقد تبلور المشهد اللغوي بالمغرب عبر مراحل متعددة تفاعلت خلالها عناصر تاريخية وحضارية وثقافية وسياسية أسهمت في بناء الوضع الحالي ، الذي تميز بوجود العربية في مناقشة غير متوازنة مع اللغات الأجنبية باعتبارها المدخل الطبيعي لسوق الشغل...

إن الوضع اللغوي بالمغرب يتسم بالتعدد والتنوع فهو يتكون من : اللغة العربية واللغة الأمازيغية كلغة وطنية فرضها الدستور المغربي،واللغة والفرنسية والإسبانية كلغة أجنبية أولى ثم اللغة الإنجليزية والألمانية كلغة أجنبية ثانية تدرس في المدارس الثانوية .

وقد عرفت اللغة الأمازيغية بتنويعاتها الثلاث: تريفت ،تشلحيت ،تمازيغت في السنوات العشر الأخيرة نهضة كبيرة نظرا لإدراجها بشكل تدريجي في المنظومة التربوية الوطنية ، كما عرفت انتعاشا مهما سواء على المستوى الأكاديمي إذ يسهر على تمويل الأبحاث والدراسات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ، أو على المستوى الإعلامي حيث تعددت الصحف والمجلات والفقرات التلفزيونية والإذاعية بالأمازيغية إضافة إلى القناة الثامنة الخاصة بالأمازيغية ،أو على المستوى الفني حيث نشطت العروض المسرحية والأفلام والسهرات بالأمازيغية...

وارتباط اللغة الأمازيغية باللغة العربية بالمغرب ارتباط صهره الدين والتاريخ ووحدة المصير والهدف ، إذ عمل العرب والأمازيغ على تكوين الهوية الوطنية بمختلف أبعدها ، وساهموا في تطوير الفصحى للتعبير عن الروح الإسلامية والهوية الثقافية ، ويشهد التاريخ حسب علمي على عدم وجود أي تعارض بين اللغة العربية واللغة الأمازيغية بالمغرب...

عرف المغرب اللغة الإسبانية في المناطق التي خضعت للاحتلال الاسباني في الشمال والجنوب ، كما عرف اللغة الفرنسية مع فرض الحماية سنة ١٩١٢... وقد أصبحت هذه الأخيرة تنافس اللغة الوطنية بل تقدمت عليها في الكثير من المجالات الحيوية ...فهذا العنصر اللغوي الجديد ساهم في تأخر تعليم العربية في المدارس العمومية، خاصة أن اللغة الفرنسية هي لغة المعاملات الإدارية و الاقتصادية والاجتماعية ... وورث مغرب المستقبل هذا الوضع الذي مازالت لغة التخاطب اليومي تتصارع فيه مع لغة التعليم والإدارة (الفرنسية).

في أوائل الستينات من القرن العشرين قامت الحكومة المغربية بمحاولات لإعادة مكانة اللغة العربية،وكانت أول محاولة استهدفت تعريب النظام التربوي سنة ١٩٥٧ ، لكن احتكار المستعمر للميادين الاقتصادية وضعف المغرب على مستوى الأطر والطاقات البشرية ،إذ أغلب الأطر العاملة بالنظام التربوي هي أطر أجنبية وكانت لا تتقن سوى لغتها ، حال دون نجاح هذه المحاولة ، مما سيضعف دافعية تعليم اللغة العربية وتعلمها وسيشكك في أهميتها وجدواها ...

في سنة ١٩٧٢ تم اتخاذ قرار تعريب مواد بعض العلوم الإنسانية والاجتماعية حتى تستعيد اللغة العربية مكانتها وريادتها ، فأصبحت لغة تدريس بعض للمعارف في حدود التعليمين الابتدائي والثانوي ... فبدأنا ندرس مادة التاريخ ومادة الجغرافيا ومادة الفلسفة باللغة العربية عوض

اللغة الفرنسية.

في سنة ١٩٨٢ تم اتخاذ قرار تعريب المواد العلمية بالتدرج من السلك الابتدائي إلى نهاية السلك الثانوي...

وفي التسعينات من القرن الماضي عرف المغرب نقاشات ساخنة حول الوضع اللساني ومكانة اللغة العربية واللغة الأمازيغية إلى جانب وضع اللغة الفرنسية واللغات الأجنبية الأخرى المتداولة بالبلاد . فكلما ارتفعت أصوات مطالبة بإحلال اللغة العربية محل الفرنسية في الكثير من القطاعات إلا وقامت الفرنكوفونية مدافعة عن الموقع المتميز للفرنسية في سجال عقيم عدائي تحركه الأطماع السياسية الأيديولوجية...

وفي السنوات العشر الأخيرة اعتمد المغرب في مجال التعليم سياسة لغوية تحدد توجهاتها المواد التالية:

١- إلزامية تعليم اللغة العربية .
٢- فتح شعب البحث العلمي والتعليم العالي باللغة العربية .
٣- تشجيع الترجمة العلمية والتقنية باللغة العربية.
٤- تكوين موارد بشرية عالية المستوى لمواكبة هذه الأوراش.
٥- إحداث ابتداء من سنة ٢٠٠٠ أكاديمية اللغة العربية لوضع تخطيط لغوي والسهر على تطبيقه وتقويمه.

بعض هذه المواد لم يتم تحقيقها وأهمها أكاديمية اللغة العربية التي من المفترض تسميتها بأكاديمية محمد السادس للغة العربية كما جاء في الرسالة الملكية الموجهة في ١٤ شتنبر ٢٠٠١، مع أن الهيئة التشريعية بالمغرب اهتمت بالمشروع وذلك من خلال عقد جلسة مجلس النواب يوم ٢٤ أبريل ٢٠٠٣ التي تم خلالها تقديم مشروع القانون المرتبط بتأسيس الأكاديمية كما تم عقد جلسة ثنائية في ١٧ ماي ٢٠٠٦ بغية مناقشة تفعيل هياكل البحث العلمي بالأكاديمية...

هذا الوضع فسح المجال لطغيان اللهجات الدارجة١ المتعددة البعيدة عن اللغة الفصحى المنتشرة من شمال المغرب إلى جنوبه يتداولها الخاصة والعامة من المغاربة في حياتهم اليومية ، مما جعل اللغة العربية الفصحى تبقى سجينة التدريس والتعليم والتأليف والقراءة والكتابة، حبيسة الوثائق والتقارير الإدارية والعمومية . يتعامل بها النخبة المتعلمة والفقهاء والشيوخ ، بعيدة عن اهتمام وفهم العامة ...

والوضع اللغوي يتأزم عند الطفل الأمازيغي عندما يدخل إلى المدرسة إذ يصطدم بواقع لغوي جديد ، فيجد نفسه يتعلم اللغة العربية الفصحى التي هي لغة القرآن ولغة الكتابة ولغة القراءة، بل يتفاقم مشكله اللغوي حين يجد نفسه مطالبا بتعلم اللغة الأجنبية)الفرنسية(بعد سنتين من دخوله للمدرسة ، وهو لم يرسخ بعد قواعد وضوابط اللغة العربية الفصحى في ذهنه، ولم يتقنها لا نطقا ولا كتابة ، هنا نطرح السؤال التالي:

أي واقع للغة العربية في المنظومة التعليمية بالمغرب : الابتدائي ، الإعدادي ، الثانوي، الجامعي؟.

تقوم العملية التعليمية على أساس التواصل الذي يعتمد على اللغة باعتبارها ناقلة للمعرفة ، والاهتمام بقضية اللغة في منظومة التربية والتكوين حاجة ملحة ،ولا نبالغ إذا قلنا إنها السبب في فشل منظومة التربية والتكوين ،لأن التحكم في الكفايات اللغوية وجودة تدريسها فرصة لتحقيق تنمية شاملة...

واللغة العربية حتى وإن كانت اللغة الرسمية بالمغرب فإنها ليست لغة التخاطب اليومي في البيت والمحيط ، لذا فهي تعرف مجموعة من التعثرات في المنظومة التعليمية رغم المخططات الإصلاحية ... فهي تشكو من عطب كبير وتقلص هائل آية ذلك نمو اللهجات بشكل سرطاني، وتمدد الكلمات الأجنبية حتى أصبح من المتعذر أن تجد متكلما في محيط المؤسسات التربوية وفضاء الفصول الدراسية لا يستعمل العامية أو اللغة الأجنبية في حديثه وكأنه يغطي عجزه عن التعبير السليم عن المعنى المطلوب ، مما يؤكد أن اللغة الفرنسية بالمغرب ليست أداة للانفتاح على ثقافة الآخر فحسب بل تحتل مواقع حساسة من المعمار المعرفي والثقافي والسياسي والاقتصادي ... مما جعل فضاءاتنا التربوية تعرف خفوتا كبيرا سواء في المدرسة الابتدائية أو الثانوية أو الجامعية .

١- المدرسة الابتدائية: ٢

تحظى طرق تعليم اللغة العربية وتلقينها بأكبر قسط من العناية في هذه المرحلة الأولية من تعلم الطفل، فهي أهم سمات لانتمائه وترسيخ

هويته وأداته الأولى للتعبير والتفكير. فالطفل المغربي يعيش مفارقة لغوية كبيرة على صعيد الاكتساب ،لأنه يجد نفسه في مرحلة عمرية متقدمة أمام جهد كبير ليلم بثلاث لغات : العربية الفصحى والفرنسية والأمازيغية ، وهي مخالفة تماما للغة الشارع ، وكل واحدة لها مكوناتها الصوتية والصرفية والتركيبية مما يخلق لدى الطفل المغربي ارتباكا لسانيا ويدفعنا لطرح السؤال التالي:كيف يمكن لطفل عمره ست سنوات يتكلم العامية أو الأمازيغية في بيته أن يتعلم اللغة العربية الفصحى والفرنسية في السنوات الأولى من التعليم الابتدائي وتليها مباشرة الإنجليزية أو غيرها؟.

رغم المحاولات الإصلاحية لمنظومة التعليم بالمغرب في هذه المرحلة من التدريس فإنها باءت بالفشل، لأنها لم تسبق بإصلاح لساني ، ففي قلب إصلاح التعليم إصلاح للوضع اللغوي الفاسد ... وهنا نطرح سؤال الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري حين قال: «كيف تعجز المدرسة المغربية عن اكساب المتعلم اللغة العربية على امتداد سنوات عديدة في حين يتمكن الطفل من تعلم لغته الأم في ظرف سنتين أو ثلاث سنوات على أكثر تقدير ؟؟ « .

هنا يتبين لنا المأزق الذي تعرفه المدرسة المغربية خاصة إذا استحضرنا أن تعلم اللغة العربية والتحكم فيها قراءة وكتابة وتعبيرا يعتبر من الكفايات الأساسية التي تؤطر الاختيارات البيداغوجية العامة التي جاءت بها الوثائق الوطنية كالميثاق الوطني للتربية والتكوين .

فالواقع المرير الذي تعيشه اللغة العربية بالمغرب توضحه الإحصائيات إذ نجد ٣٠٪ فقط من متعلمي المستوى الرابع أساسي يتحكمون في مهارة القراءة وقد نجد فئة ليست بالقليلة تعجز عن قراءة جملة كاملة ....خاصة في التعليم القروي والمناطق النائية . فأين نحن من القراءة السليمة وفهم النصوص وتحليلها وإعادة صياغتها بأسلوب المتعلم؟؟...

إن الواقع اليومي الذي يعاش في الأقسام الخاصة بالعالم القروي والمناطق التي تعتبر فيها اللغة العربية اللغة الثانية بعد اللغة الأم «الأمازيغية» يكشف محنة اللغة العربية وترديها وضعفها ، ونرجع ذلك لأسباب منها :

١- هشاشة البنية التحتية للمؤسسات التعليمية حيث تغيب المكتبات والقاعات المتعددة الوسائط وإن وجدت لا تستغل على الوجه الأكمل .

٢- عدم وجود الحافز داخل الأسرة ،فبالإضافة إلى الأمية تغيب المكتبات والحواسب كما يغيب الحث على تتبع البرامج الثقافية في القنوات الفضائية ، فالكل مهووس بالأفلام والمسلسلات التركية والهندية المترجمة بالعامية المغربية أو اللبنانية أو الأردنية ، وهذا أكبر مؤشر على انتشار الأمية وانخفاض مستوى الدخل.

وننبه إلى أن اللغة الفرنسية هي اللغة الثانية في المدارس الحكومية، لكن الوضع يختلف بالنسبة للتعليم الخاص ،فتنافس المدارس لجلب وتسجيل أكبر عدد من الأطفال من أجل رفع مسواهم المادي جعلهم يلزمون الأطفال بتعلم ثلاث لغات وهم لازالوا في الأقسام الأولى من الابتدائي، ولا يتحدث معه داخل الفصل وفي فضاء المؤسسة إلا باللغة الفرنسية كرمز على جودة المؤسسة ورقي مستواها التعليمي...

المدرسة الإعدادية والثانوية :

اللغة العربية الفصحى في هذه المرحلة أهم وسيلة لإدماج المتعلم في مجتمعه وبناء شخصيته الوطنية . فدروس العربية تمكن المتعلمين من امتلاك زمام اللغة العربية والسيطرة على تراكيبها نطقا وكتابة وفق خصوصياتها ونسق أساليبها . فالغرض من اللغة العربية في المدارس الإعدادية والثانوية هو جعل المتعلم يعبر عن نفسه تعبيرا كاملا صحيحا باللسان والقلم – وهذا ما لم يحدث– فقد بين التقويم الوصفي لعملية التحصيل الدراسي أن متوسط التحصيل الدراسي في اللغة العربية يتراوح بين ٢٧ ٪ و ٤٣ ٪في التعليم الثانوي والإعدادي ، ويخلص التقرير أن الكفايات والمهارات اللغوية الأساسية لم يتم اكتسابها والتحكم فيها بالقدر المطلوب ،فأغلب المتعلمين في الأسلاك المختلفة غير متمكنين من المهارات القرائية بالعربية ، يعانون مشاكل على مستوى الرصيد المعجمي وعلى مستوى فهم المقروء واستثماره وعلى مستوى الإنتاج الكتابي ،كما يعاني أغلب التلاميذ من صعوبات في

التعبير والإنشاء معرفيا ومنهجيا ولغويا وبلاغيا خاصة في السلك الثاني من التعليم الثانوي... فضعف اللغة العربية يسري تأثيره إلى باقي المواد المدرسة ، فيكون الضعف في اللغة العربية سببا في تدني مستوى التحصيل الدراسي عموما والهدر المدرسي...

فإشكالية الأمن اللغوي باتت تشكل إحدى النقائص الأكثر حدة على مستوى التحصيل البيداغوجي لكونها لا تؤثر في المدرسة فحسب ولكن أثرها يمتد إلى المحيط المهني والاجتماعي وهو أمر مقلق باعتبار إتقان اللغات من العوامل الحاسمة في ارتقاء المستوى الدراسي للتلميذ ونجاح مسار حياته ... إن التلاميذ المغاربة مجبرون على التعامل مع عوالم لغوية متعددة : اللغات الأم ، لغات الدراسة ، لغات الاقتصاد والإعلام والتكنولوجيا مما يفسر محدودية استعمال اللغة العربية خارج الفصل الدراسي وبعض الأنشطة المدرسية ...

اللغة العربية في التعليم الجامعي:

ورث التعليم الجامعي الداء العضال الذي تعيشه العربية في صفوف الدرس قبل الجامعة،وذلك حين استقبل في شعبة اللغة العربية وآدابها طلبة من مستوى ضعيف عما يتطلبه التعليم العالي والبحث الأكاديمي الجامعي ،إذ المسجلون غالبا مضطرون في ذلك فهم إما:

× غير مؤهلون للتخصص في اللغات الأجنبية ويعتقدون أنهم يتقنون اللغة العربية.

× أنهم من وسط غير ميسور حال دون توجههم للتعليم العالي الخاص المؤدى عنه.

× أنهم ليسوا من الطلبة المتفوقين ،إذ هذه الفئة تسجل بالمعاهد العليا للدولة.

فمع أن التعليم الجامعي في المغرب يعرف توسعا كبيرا، ويحظى باهتمام بالغ لأنه يسهم في تكوين الفرد وإبراز مواهبه ودوره في تنمية المجتمع، إلا أننا نلاحظ أن المستوى العام للخرجين من كليات العلوم الإنسانية لا يرقى دائما إلى الدرجة المطلوبة من حيث جودة استعمال اللغة العربية واستيعاب نظمها ... مع أنه من الإنصاف الإفادة ببعض الدراسات والأبحاث القيمة التي صدرت من الجامعيين في هذا المجال .

في المغرب يتم اعتماد اللغة العربية في مجال الدراسات والعلوم في المراحل الأساسية والثانوية لكن يستمر التكوين في التعليم العالي باللغة الفرنسية في كليات: العلوم والطب والصيدلة وطب الأسنان ومدارس المهندسين ومؤسسات تكوين الأطر التقنية والمدارس العليا للتكنولوجيا وشعب الاقتصاد بكليات الحقوق ... هنا نطرح السؤال :

١- كيف سيلتحق التلميذ بهذه المؤسسات التعليمية التي ذكرناها ،وهي ذات تكوين باللغة الفرنسية والتلميذ تلقى المواد العلمية باللغة العربية طيلة ١٢ سنة من السنة الأولى إلى سنة الحصول على الباكالوريا؟..

٢- كيف سيساير هذا التلميذ الدرس الجامعي في الكليات بلغة لا يتقنها والجامعة تتجاهل الترجمة وتستغني عنها؟...

٣- كيف سيدرس هذا التلميذ وهو أستاذ المستقبل هذه المواد العلمية لتلاميذه باللغة العربية وهو تلقاها باللغة الفرنسية ؟.

إن عدم استخدام اللغة العربية في التدريس الجامعي بالنسبة للشعب العلمية أكبر مظهر من مظاهر غربتها وتهميشها بين أبنائها من المغاربة... ونشير أن طلبة الشعب العلمية يودعون اللغة العربية بمجرد حصولهم على الباكالوريا ولا نجد لها أي أثر في الكليات العلمية والمعاهد العليا، ونعزو ذلك إلى مجموعة من الأسباب أهمها:

١- عدم وجود قانون يلزم المؤسسات الجامعية بالتعريب خاصة في المواد العلمية.

٢- ندرة الكتب العلمية باللغة العربية سواء المترجمة أو المؤلفة المواكبة للتطورات العلمية الحديثة، لأسباب تتعلق بالمترجمين من جهة وبدور النشر والتوزيع من جهة أخرى.

٣- اعتماد بعض هيئات التدريس بالجامعة على مصادر علمية باللغة الفرنسية أو الانجليزية.

٤- تشبث القائمين على التدريس بلغة موليير وهوجو بحجة أنها مرتبطة بفلسفة نفعية القطاع وفق حاجة سوق الشغل ، مع أن المعرفة لا لغة لها ويمكن لكل اللغات أن تستوعبها بشكل مثالي...

وليس حال طلبة تخصص اللغة

العربية وآدابها بكليات الآداب والعلوم الإنسانية وكلية اللغة العربية بأحسن حال، فعدم تمكنهم من القواعد الأساسية في النحو والإملاء واللغة بصفة عامة،جعل أسلوبهم الكتابي والشفهي محملا بالأخطاء التي كان من المفروض أن يتخلصوا منها قبل حصولهم على الباكالوريا...

وعليه فالجامعة المغربية مطالبة بإعادة النظر بجدية في واقع اللغة العربية فيها،لتمكن اللغة من إحداث أثرها في تحريك قدرات الطلبة الإبداعية وتعميق إحساسهم بالهوية وروح الانتماء والمواطنة، وجعلهم قادرين على التعبير السليم باللغة العربية شفهيا وكتابيا ورقميا مع تمثل خصوصيات أي نمط تعبيري ومعرفة ومراعاة شروطه ومقتضياتها البلاغية والحجاجية والجمالية...

فاللغة العربية في الجامعة المغربية تعاني ضعفا كبيرا من حيث الوظيفة والأداء على مستويات عدة : التعليمي/ العلمي/ الثقافي والاجتماعي ، فغياب بنية فصيحة داخل الحرم الجامعي يدفعنا لاكتساب لغة تقعيدية تعتمد قواعد الرفع والنصب والجر والحذف والتقديم والتأخير والفصل والوصل وغيرها ... وهي مهمة تقوم بها كلية اللغة العربية التابعة لجامعة القرويين وبعض الأقسام في كليات الآداب والعلوم الإنسانية.

وترجع الباحثة عوامل ضعف اللغة العربية باعتبارها متصلة بالعملية التعليمية التعلمية بالجامعة المغربية إلى :

١- التدريس باللغة العامية وهذا يضيق من فرص توظيف اللغة العربية الفصحى ، فقد غدا التواصل باللغة العربية الفصحى شبه منعدم .

٢- ظهور لغة هجينة يومية تجمع بين العامية والفرنسية مما جعل لغة الضاد في وضع هش للغاية.

٣- غياب تطبيق لغوي سليم ومختص ،إذ يجب إشراك المختصين من اللسانيين واللغويين في التخطيط الدراسي حتى تكون المواد المقدمة في المستوى المطلوب من الجودة والإتقان.

٤- غياب مجالات واقعية لتوظيف لغة الضاد ، كخلق مسابقات في مستويات الأداء اللغوي) الخطابة، الشعر، المسرح، المجلات الأدبية ، الرواية، القصة و القصة القصيرة.(وهذا ما جعلها حبيسة الكتب القديمة والخطب الدينية والسياسية والأحاديث الوجدانية.

٥- وجود خيارات لغوية متعددة تحرم الطالب المغربي من إتقان اللغة العربية والانفتاح الموزون والمتدرج على اللغات الأخرى.

فكل قصور تعرفه اللغة العربية برحاب الجامعة المغربية يؤثر حتما في أداء وظائفها ويخلق ارتباكا في التكوين والكفايات اللغوية.

وبعد الانتقادات التي وجهها عاهل المغرب بمناسبة خطاب عشرين غشت ٢٠١٣ لقطاع التعليم والقائمين عليه٣ ، بدأت نقاشات متعددة فجرت ندوة دولية حول واقع التعليم بالمغرب صدر عنها أربعة وأربعون توصية منها :

× ضرورة استقبال الأطفال في المدارس بلغتهم الأم .

× كل طفل ينبغي أن يتمكن من لغته الأم قبل أن يتعلم لغة ثانية .

× اعتماد اللغة الأم في التعليم الأولي والسنوات الأولى من التعليم الابتدائي .

هذه التوصيات الثلاث أثارت جدلا عميقا عن الوضع اللغوي بالمغرب ،خاصة أن اللغة الأم في المغرب هي :العامية أو الأمازيغية) تريفت ،تشلحيت ، تمزيغت(أو الحسانية بالمناطق الصحراوية ...

فإذا كانت اللغة العربية في نظر البعض غير قادرة على توصيل الأفكار لأطفالنا ، فالمشكل ليس في اللغة وإنما في العرب الذين فشلوا في جعل لغتهم لغة العلم ولنا في التجربة التراثية خير سند حيث كانت اللغة العربية بوابة المعرفة والعلوم ، وترجمت أغلب علوم الآخرين إليها ... فقد كانت لغة الفلسفة والعلوم والفيزياء والهندسة والجبر والطب كما كانت لغة الغزل والخمريات والصعلكة والمجون...

حاولت الباحثة أن تبسط في غيرة كبيرة وبنوع من الجرأة الفكرية موقفا عن واقع اللغة العربية الفصحى بالمغرب لأنها تؤمن أن زمن الاستيطان اللغوي قد ولى ، وتردد مع حافظ إبراهيم دفاعه عن ثراء وغنى وسعة محصول اللغة العربية لما قال:

وَسِعتُ كتابَ اللهِ لَفظاً وَغايَةً
وَما ضقتُ عَن آيٍ بِهِ وَعِظات
فَكَيفَ أَضيقُ اليَومَ عَن وَصفِ آلَةٍ

أَنا البَحرُ في أَحشائِهِ الدُرُّ كامِنٌ ... وَتَنسيقِ أَسماء لِمُختَرَعاتِ

فَهَل سَأَلوا الغَوّاصَ عَن صَدَفاتي ... فَيا وَيحَكُم أَبلى وَتَبلى مَحاسِني

وَمِنكُم وَإِن عَزَّ الدَواء أَساتي ... فَلا تَكِلوني لِلزَمانِ فَإِنَّني

أَخافُ عَلَيكُم أَن تَحينَ وَفاتي ... أَيَهجُرُني قَومي عَفا اللَهُ عَنهُمُ

إِلى لُغَةٍ لَم تَتَّصِل بِرُواةِ ... سَرَت لوثَةُ الإِفرِنجِ فيها كَما سَرى

لُعابُ الأَفاعي في مَسيلِ فُراتِ ... فَجاءَت كَثَوبٍ ضَمَّ سَبعينَ رُقعَةً

مُشَكَّلَةَ الأَلوانِ مُختَلِفاتِ

لقد امتلأت رفوف مكتباتنا بالدراسات والأبحاث والندوات الدولية والوطنية، وتوصيات المجامع اللغوية وأوراق المهتمين والغيورين عن اللغة العربية، والضعف الذي حل بها وواقع الغربة والتهميش الذي تتخبط فيه بين أبنائها في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية ... وارتفعت الأصوات المنادية بالإصلاح التي لم تجد آذانا صاغية ، فبقت دار لقمان على حالها كما بقيت اللغة العربية تعاني من الأمراض المزمنة التي لم تعد تنفع معها المسكنات ... فمستقبل اللغة العربية بالمغرب:

أولا: رهين بتكوين وعي لغوي جديد ، وعي مدرك لأهمية اللغة في عصر انتقال المعلومات السريعة وتبادل الثقافات الواسع .

ثانيا: رهين بقرارات جريئة وحاسمة من الجهات العليا في الدولة تعتمد على سياسة تعليمية جديدة تبنى على أسس معيارية في جميع جوانب المنظومة المدرسية ، وتسهم في تخرج جيل يفتخر أنه عربي...

ثالثا: رهين بفرض التعامل باللغة العربية في جميع مجالات الحياة الإدارية والاقتصادية ومختلف القطاعات العامة ...

رابعا: رهين بتطوير آليات تدريس اللغة العربية بمختلف أسلاك الدراسة بالمغرب، فعلينا أن ندرس ونُدَرّس باللغة العربية الفصحى ، فهذا لا يمنع من تنافذنا على اللغات الأجنبية حتى لا نفقد اتصالنا مع الأبحاث المنشورة حديثا في كل مجالات العلوم والمعرفة . فاللغة الخارجة عن المدار الفعلي للحياة اليومية والعملية لغة محكوم عليها بأن لا تتطور...

خامسا: رهين بتوجيه التعليم الخاص نحو الالتزام بالتدريس باللغة العربية ، وخلق دورات تكوينية لتنمية مهارات معلمي اللغة العربية ...

سادسا: رهين بحث الإعلام والإعلاميين على استعمال لغة عربية سليمة وجعلها مصدرا هاما في موادهم وأنشطتهم حتى يجد المتعلم مجالات أوسع لتعزيز كفايته اللغوية...

سابعا: رهين بإدخال اللغة العربية الفصحى في الفضاءات التي تهيمن عليها اللغة الفرنسية ، بما في ذلك قطاعات الإدارة . فاللغة لن تستعيد حيويتها إلا بالاستعمال الذي يعينها على خلق أدوات تحديثها وإنعاشها.

ثامنا: رهين بتبيئة اللغة socialisation من خلال إدراجها في برامج التنمية وإعطائها طابعا وطنيا يؤهلها للقيام بدورها الجوهري في التلقين ونشر المعرفة.

وأي حديث عن التنمية سيظل عاجزا ما لم يستند إلى تعلم قوي للغة القومية ، فتعليم اللغة ليس صحة الأداء وتقوية الانتماء إلى ثقافة الأمة فقط ، بل يسهم بقوة في اكساب الفكر العلمي وأسس التفكير المنطقي الذي لا يزدهر إلا حين يمارس باللغة القومية . فاللغة العربية محتاجة إلى أبنائها للقيام بإصلاح لغوي شامل في زمن الإصلاحات العربية التي تهب ريحها على المنطقة العربية ، وبتحويل حصاد المؤتمرات والندوات والأيام الدراسية عن واقع اللغة العربية إلى برامج عمل ومشروعات قومية قابلة للتنفيذ على مستوى التخطيط والتمويل ، حتى يعود الاعتبار للغة العربية كمرجعية تاريخية وثقافية وليس كمطلب إثني أو قومي...

فأي بلد يغيب فيه التشريع والتخطيط اللغويان هو بلد مفرط

في حقوقه اللغوية ، معرض هويته للاضمحلال ، ولذلك نناشد كل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية) وزارة التربية الوطنية، وزارة التعليم العالي ، وزارة الثقافة ، مؤسسات التعريب ...(أن تهتم بالوضع اللغوي بالمغرب ...ألم يقل جبران خليل جبران: «مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن في مجموع الأمم التي تتكلم اللغة العربية ، فإذا كان ذلك الفكر موجودا كان مستقبل اللغة العربية عظيما كماضيها ، وإلا فلا...»؟؟؟٤

وفي الختام أرجو أن لا تبق توصيات هذا المؤتمر حبرا على ورق...

« مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ، إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ »

صدق الله العظيم

لائحة المصادر والمراجع

- خالد العمدي ، جوانب من تأثير الفرنكوفونية في نظام التربية والتعليم بالمغرب ، مجلة البيان المنتدى الإسلامي ، العدد ٣٣.
- عبد الله العروي ثقافتنا في ضوء التاريخ ، المركز الثقافي العربي ١٩٨٣ الدار البيضاء المغرب.
- عزالدين المناصرة ، الهويات والتعددية اللغوية دار مجدلاوي، الطبعة الأولى عمان ٢٠٠٤.
- الفاسي الفهري، المقاربة والتخطيط في البحث اللساني العربي، دار تبقال للنشر ١٩٩٨ الدار البيضاء المغرب.
- لويس جان كالفي ، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة د.حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة ، الطبعة الثانية بيروت ٢٠٠٨.

الهوامش

١ الدارجة أو العامية ليست عربية بل أمازيغية بناءا وصرفا وهو أمر لا يفهمه إلا الناطقين بالأمازيغية والباحثين في علم اللغات المقارن ، فهي اللغة الثانية للأمازيغ سكان المغرب الأصليون اهتدوا إليها من أجل التواصل مع العرب المقيمين بالمغرب من الفاتحين والغازين والمهاجرين والنازحين من الأندلس.

٢ استقيت مادة هذا المحور من الحوارات الجادة والبناءة التي أجريتها مع طلبتي الذين يعملون كأساتذة في مستويات تعليمية مختلفة سواء في العالم القروي أو في المدار الحضاري.

٣ - انتقد العاهل المغربي الملك محمد السادس الوضع الحالي للتعليم في بلاده، وقال إن ما يحز في النفس أن وضعه الحالي أصبح أكثر سوءا مقارنة بما كان عليه الوضع قبل أكثر من عشرين سنة، مشيرا إلى أن ذلك دفع عددا كبيرا من الأسر، رغم دخلها المحدود، لتحمل التكاليف الباهظة لتدريس أبنائها في المؤسسات التعليمية التابعة للبعثات الأجنبية أو في التعليم الخاص، لتفادي مشاكل التعليم العمومي، وتمكينهم من نظام تربوي ناجع ... وعزا العاهل المغربي، في خطاب ألقاه الليلة قبل الماضية بمناسبة الذكرى الستين لثورة الملك والشعب، وعيد الشباب، الذي يصادف الذكرى الخمسين لميلاد الملك محمد السادس، الصعوبات والمشاكل التي يواجهها قطاع التعليم إلى اعتماد بعض البرامج والمناهج التعليمية، التي لا تتلاءم مع متطلبات سوق الشغل، فضلا عن الاختلالات الناجمة عن تغيير لغة التدريس في المواد العلمية، من العربية في المستوى الابتدائي والثانوي، إلى بعض اللغات الأجنبية، في التخصصات التقنية والتعليم العالي، وهو ما يقتضي تأهيل التلميذ أو الطالب، على المستوى اللغوي، لتسهيل متابعته للتكوين الذي يتلقاه...

وقال العاهل المغربي إن الوضع الراهن لقطاع التربية والتكوين يقتضي إجراء وقفة موضوعية مع الذات لتقييم المنجزات، وتحديد مكامن الضعف والاختلالات، مذكرا بأهمية الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي جرى اعتماده في إطار مقاربة وطنية تشاركية واسعة، وعمل الحكومات المتعاقبة على تفعيل مقتضياته...

٤ جبران خليل جبران الأعمال الكاملة ص ٥٣٢.